من أضرمَ النارَ في الشجرة؟

ليث الصندوق

الصلاةُ التي نتهجَّدُها في المساءِ
صلاةُ سكارى
أمّا التي نتهجَّدُها في الضحى
فصلاةُ نيام
وفي الحالتينِ يمرُّ الملائكةُ المترفونَ
فلا يحفلونَ
وتفرخُ في جوفِنا العنكبوت

* * *

أفيقي...
أفيقي...
كأنيّ أسمعُ طبلَ الحروبِ
كأنيَ أنشقُ في اللحم الغضيِّ ريحَ العفن
لقد بلغَ الموتُ بابَ المدينه...
ليُلقِ الجنودُ بأسيافِهم للوهاد
ويستغفروا ـ من خطيئةِ شحذِ المُدى ـ قاتليهم
وينتظروا في أسرّتِهم لعناتِ النهايه

* * *

أَفيقي
لقد بلغَ الموتُ أبوابَ غرفتِنا
البسي خيرَ ما تملكينَ
لنستقبلَ الموتَ مبتسمين

كانت المدنُ النائحاتُ تُسرِّبُ أحزانَها للسكارى
ونوافيرُها تطردُ الطيرَ عن شرفاتِ المغنّين
والحزنُ يملأُ قبعةَ اللصِّ بالوردِ
كنّا بأعراسنا نتغنى بأصواتنا النائحاتِ
ونجمعُ في راحتينا النقودَ من الصدقات
ونبذرها في سواقي الذلول
فتطلعُ جوعاً، وقحطا

* * *

تلك أيامُنا الراحلاتُ بقاطرةٍ منهكه
لم يتبقَّ من البرد غيرُ نتيفِ غيوم
وخلفَ المزاغلِ يغفو الجنود
مستمتعين بلسعِ الذباب
وحلمِ السلام البعيد.
لكم أتعبتْنا المحطّاتُ
إمّا وصلنا
ففي الانتظار هنالكَ قاطرةٌ ثانيه
وفوقَ السلالمِ ثمةَ كفٌّ تلوّح
أو قبعاتٌ تُطَوِّحُ كاشفةً عن مزيدٍ من الصلعات.

* * *

سلاماً على رغواتِ الحليب
على قدحِ الشاي
والجبنِ
والحُمرةِ المستطابة فوقَ حوافي الكؤوس
لقد يئِسَ الانتظارُ الشفاه،
فالأوجُهُ الذابلاتُ مقابر!

بغداد

إن هذه الأوضاع وغيرها سترسّخ من قناعات الشعب في المدى البعيد بضرورة العمل على تجاوز حالة الاغتراب التي يعاني منها عن طريق العمل الدؤوب على إحياء المجتمع المدني وإقامة مجتمع ديمقراطي إنساني يؤمّن الحريات والتعدّدية والحقوق السياسية بما فيها حق المشاركة والاختلاف بقدر ما يؤمّن من مستوى المعيشة اللائقة والتنمية الشاملة والنوعية.

من هنا يعقد العربي آماله على إقامة مجتمع مدني عن طريق مشاركة الشعب مشاركة حقيقية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فمثل هذه المشاركة هي المؤشر الأهم لاحتمالات قيام مجتمع ديمقراطي يوازن بين الحرية والعدالة الاجتماعية.

إن الديمقراطية الحقيقية هذه لا تتمّ دون أن يتحمّل الشعب عبء مسؤوليته بتنظيم نفسه في حركات تعتمد على مواردها الخاصة؛ فمن المفروض أن تتمّم الحكوماتُ المجتمعَ المدنيَّ لا أن تحلّ محله. لقد فشلت الأنظمة في كافة أنحاء العالم في تحقيق الديمقراطية المتكاملة (ولا أقول الكاملة فليس هناك في الواقع مثل هذه الديمقراطية). إنّ الأنظمة التي اختارت طريق التخطيط المركزي باسم الاشتراكية إنما بمعزل عن الشعب قد تسبّبتْ بفرض طغيان الدولة على المجتمع؛ وهو ما يفسّر لنا لماذا فشلت في تحقيق كل من العدالة الاجتماعية والحرية معاً. كما أن الدول الرأسمالية التي تقول بالسوق الحرة غير المنضبطة تسبّبتْ باستعمار الشعوب وبتفاقم الفجوات الطبقية والاستغلال والقهر وتهميش الفقراء وانتشار الجريمة والبطالة عن العمل والجشع والاستهلاك وحب الاقتناء لذاته والتضخم وانهيار المبادئ الأخلاقية وانحلال التماسك الاجتماعي، وبذلك أخضع المجتمع المدني لهيمنة سلطة السوق. وإذا كان المجتمع المدني قد أُخضع لقيم السوق في ظل الأنظمة الرأسمالية ولسيطرة نظام الحزب الواحد والدولة البيروقراطية ذات البعد الواحد في المجتمعات الاشتراكية، فإنّ المجتمع المدني في العالم العربي قد تمّ إخضاعه لكلٍ من هيمنة الدولة وقيم السوق الاستهلاكية، فجاءت أزمتُهُ مزدوجةً وشديدة التعقيد. من هنا ضخامة التحدي التاريخي الذي يواجه العرب في نهاية القرن العشرين وبداية قرن جديد.

واشنطن